

الخصائص

وتلاحظه وتتحمّل لذلك مشاقّه وكُلّلافه وتعتذر من تقصير إن جرى وقتا منها في شدة منه

وليس يجوز أن يكون ذلك كلاًه في كل لغة لهم وعند كل قوم منهم حتى لا يختلف ولا ينتقص ولا يتهاجر على كثرتهم وسعة بلادهم وطول عهد زمان هذه اللغة لهم وتصرفها على ألسنتهم اتّفاقاً وقع حتى لم يختلف فيه اثنان ولا تنازعه فريقان إلاّ وهم له مريدون ويسياقه على اوضاعهم فيه مَعْنِيّون ألا ترى إلى اطرّاد رفع الفاعل ونصب المفعول والجرّ بحروف الجر والنصب بحروفه والجزم بحروفه وغير ذلك من حديث التثنية والجمع والإضافة والنسب والتحقيق وما يطول شرحه فهل يُحسن بدي لبّ أن يعتقد أن هذا كله اتّفاق وقع وتوارّد اتّجاه .

فإن قلت فما تُنكر أن يكون ذلك شيئاً طُبعوا عليه واجيئوا إليه من غير اعتقاد منهم لعِلّله ولا لقصدٍ من القُصود التي تنسبها إليهم في قوانينه وأغراضه بل لأن آخراً منهم هذا على ما نهج الأوّل فقال به وقام الأوّل للثاني في كونه إماماً له فيه مقام من هَدَى الأوّل إليه وبعثه عليه ملاكاً كان أو خاطراً .

قيل لن يخلو ذلك أن يكون خبراً رُوّسوا به أو تيقُّظاً نُبِّهُوا على وجه الحكمة فيه فإن كان وَحْيياً أو ما يجري مجراه فهو أَرْبَهُ له وأذهبُ في شرف الحال